يبدي وحتمت عليها فلا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
قال ومصداق ذلك في كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
ونزل في علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط
اخي عثمان لامه حين تنازعا فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانا صبي
وانا شيخ وانا والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا
واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق ...
افمن كان مومنا اي راسخا في التصديق بجميع ما اخبرت به الرسل
كمن كان فاسقا اي راسخا في الفسق خارجا عن دايرة الاذعان وقال
تعالى لا يستوون ولم يقل تعالى لا يستويان لانه لم يرد مومنا واحدا
ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المومنين وجميع الفاسقين فلا يستوي
جمع من هو لاء يجمع من اوليك ولا فرد بفرد قال قتادة لا يستوون
لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الاخرة ولما نفي استواءهم اتبعه حال
كل على سبيل التفصيل وبدا بحال المومن بقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا
اي تصديقا لايمانهم الصالحات اي الطاعات فلهم جنات الماوى اي التي
ياوي اليها المومنون فانها الماوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة
وهي نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس
قال تاوي اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش نزلا اي عدادا
لهم اول قدومهم قال البقاعي كما يهدي للضيف على ما لاح اي عند قدومه
بما اي بسبب ما كانوا يعملون من الطاعات فان اعمالهم من رحمة ربهم
واذا كانت هذه الجنات نزلا فما ظنك بعد ذلك هو لعمري ما اشار اليه
قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وهم كل لحظة في زيادة لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها فاياك
ان تخادع او يغرنك ملحد بتمني بحال الكافر بقوله تعالى واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن دايرة الايمان الذي هو معدن التواضع واهل للمصاحبة
والملازمة فماواهم النار اي التي لا صلاحية فيها للايواء بوجه من الوجوه
ملجاهم ومنزلهم اي فالنار لهم مكان جنة الماوى للمومنين كلما ارادوا اي
وهم مجتمعون فكيف اذا اراد بعضهم ان يخرجوا منها بان يخيل اليهم
ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون نفوسهم من
محيط الادلة ومن دايرة الطاعات الى ميدان المعاصي والزلات
فيعالجون الخروج فاذا ظنوا انه تيسر لهم وهم بعد في غمراتها اعيدوا فيها
فهو عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم اي من اي قايل وكل بهم ذوقوا عذاب
النار اهانة لهم وزيادة في تغيظهم وقوله تعالى الذي كنتم به تكذبون

صفة

صفة لعذاب وجوز ابو البقا ان يكون صفة للنار قال وذكر على معنى الجحيم والحريق
ولما كان المومنون الان يتمنون اصابتهم بشي من الهوان قال تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا قال الحسن هو مصايب الدنيا واسقامها
وقال عكرمة الجوع بمكة سبع سنين اكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب
وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر دون العذاب الاكبر وهو
عذاب الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الاخرة فان قيل ما الحكمة
في مقابلة الادنى بالاكبر والادنى انما هو في مقابلة الاقصى والاكبر انما هو
في مقابلة الاصغر اجيب بانه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما
انه قريب والاخر انه قليل صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران احدهما
انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن العرف في عذاب الدنيا هو انه الذي يصلح
للتخويف فان العذاب الاجل وان كان قليلا قد لا يحترز عنه اكثر مما يحترز
من العذاب الشديد اذا كان اجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب
فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة
فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما ذكر فقال في عذاب
الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل ولو قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال
في عذاب الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما حصل
التخويف به مثل ما يحصل بوصفه من الكبر لعلهم يرجعون الى الايمان
اي من بقي منهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى
محال اجيب بوجهين احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله
تعالى انا نسيناكم يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا
كذلك هاهنا والثاني نذيقنهم العذاب اذاقة يقول القايل لعلهم يرجعون
بسببه ومن اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي القران ثم اعرض
عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها
وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة
وما يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها *
اي لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم موصوف بما ذكر والغما بتشديد الميم
والمد اي في مدة اقتحام الحرب والشاهد في قوله ثم يزورها اذ المعنى انه
استبعد انه يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها
انا من المجرمين اي الكافرين منتقمون وعبر بصيغة العظمة تنبيها على ان
الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العد في الظالمين
فكيف اذا كانوا اظلم الظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم
في الدنيا اما باطنا بالاستدراج بالنعم واما ظاهرا باحلال النقم وفي الاخرة

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)